(٢٣) أبو سليمان الداراني[١]

ذكر أبي سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني رحمه الله:

داريا[٢] قرية من قرى دمشق مات بها رحمه الله[٣].

كان رحمه الله وحيدَ وقته، وفريدَ دهره، ولطيفَ عصره، ومن غاية لطفه سُمّي ريحان القلوب.

وله في الرياضة والجوعِ المُفرط شأنٌ كبير حتى قيل له: بُندار[٤] الجائعين؛ فإن أحدًا من هذه الأمة لم يصبرْ على الجوع مثلَ صبره.

وله أيضًا في معرفة حالاتِ الغيوب وآفاتِ النفس وعيوبها حظٌّ وافر.

وله كلماتٌ عليّةٌ، وإشاراتٌ لطيفة.

قال أحمد بن أبي الحواري[٥]، وهو من مريديه: كنتُ أُصلّي في الخلوة،

---

(١) الجرح والتعديل ٥/ ٢١٤، تاريخ داريا للخولاني ٥١، طبقات الصوفية ٧٥، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤، تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٨، الرسالة القشيرية ٥٩، تاريخ ابن عساكر ٤٠/ ٧٧، الأنساب ٥/ ٢٤٣، مناقب الأبرار ٢٣٤، صفة الصفوة ٤/ ٢٢٣، المختار من مناقب الأخيار ٣/ ٣٦٩، وفيات الأعيان ٣/ ١٣١، مختصر تاريخ دمشق ١٤/ ١٨٧، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢، العبر ١/ ٣٤٧، فوات الوفيات ٢/ ٢٦٥، مرآة الجنان ٣/ ١٣١، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥٥، طبقات الأولياء ٣٨٦، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٩، نفحات الأنس ٥٧، طبقات الشعراني ١/ ٩٢، الطبقات الكبرى للمناوي ١/ ٦٦٩، شذرات الذهب ٢/ ١٣.

(٢) في الأصلين: الدارائي... دارا. وداريّا قرية جنوب دمشق بـ ٨كم، والنسبة إليها داراني، والنسبة إليها على هذه الصورة من شواذ النسب. انظر الأنساب ٥/ ٢٤٤.

(٣) في (ب): مات بها رحمه الله سنة خمس عشر وثمان مئة. اهـ. أقول: ووفاته كانت سنة خمس عشرة ومئتين.

(٤) في (أ) كتب تحت كلمة (بندار): أول. وهي في الفارسية تعني: صاحب المنزلة. والأصلي.

(٥) في الأصلين: أحمد الحواري.

وحصل لي فيها لذَّةٌ عظيمةٌ، وذكرت ذلك للشيخ أبي سليمان، قال: أنت رجلٌ ضعيف، ولك نظرٌ إلى الخلق، ولذا حالُكَ في الخلوة غيرُ حالك في الملأ، والمُخلصُ ينبغي أن يكون حالُه في الخلا والملا على سننٍ واحد، ومن غايةِ استغراقه لا يكون مُلتفتًا إلى الخلق.

قال أبو سليمان: بتُّ ليلةً في مسجدٍ، وكان البردُ قويًّا، ففي وقتِ الدُّعاء غطّيت إحدى يدي في الكمِّ، ودعوتُ الله تعالى، ثم غلبني النومُ، صاحني هاتفٌ: يا أبا سليمان، أُعطيتَ نصيبَ اليد التي كانت خارجةً، ولو كانتِ الأُخرى بارزةً مكشوفةً لأعطينا نصيبَها. قال: ثم حلفتُ بالله أن لا أدعو الله تعالى في حرٍّ أو بردٍ إلاّ وتكون يداي مكشوفتين.

قال: سبحان الذي وضع لطفَهُ في مخالفتنا لاختياره.

قال: اتّفقَ لي أن نمتُ عن وردي نوبةً، فرأيتُ في المنام حوراء تقولُ لي: تنامُ عن وردك، وأنا أُربّى لك في الخدورِ منذ خمس مئة عام!؟

وقال: رأيتُ ليلةً في المنامِ حوراء تنظر إليّ من طرفٍ وتبتسمُ، ويُشرقُ وجهُها نورًا بحيث لا يُمكنُ وصفُه، قلت لها: من أين لك هذا الجمال؟ قالت: أمطرْتَ ليلةً قطراتٍ من العَبَرة[1]، فغُسِلَ بها وجهي، فحصل هذا النورُ والضياء.

قال: كان لي صديقٌ يُعطيني ما أسأل عنه، فقال نوبةً حين سألتُ شيئًا: كم تسأل! فتركتُ صداقته.

أقول: لأنَّ الصداقةَ لا ينبغي أن تتحقَّقَ إلاّ مع أحدٍ لا يَعْجِزُ عن قضاء حوائجك، ولا يضيق قلبُه عن طلباتك، وإلاّ فلا يصلح للصداقة، ومن لا يعجزُ عن سُؤال السائلين، ولا تَضيقُ خزانتُهُ عن طلبات المستحقين إنّما هو اللهُ عزَّ وجل، والله أعلم.

---

(١) في (أ) كتب تحت كلمة (العبرة): العين وانظر صفحة ٣٦٧.

قال: صادفتُ بمكّةَ(١) رجلاً لا يطعمُ شيئًا إلاّ أنه يشربُ الماءَ من زمزم، قلت له: إن نشفَ زمزمُ ماذا تأكلُ وتشرب؟ فقام الرجل وقال: جزاكَ اللهُ خيرًا، هديتني إلى الطريقِ، فإنّي كنتُ عابدَ زمزمٍ منذ سنين. وذهب

قال أحمد بن أبي الحواري: كان أبو سليمان رحمه الله إذا أحرمَ للحجِّ لا يقول عنده لبّيك، سألْتُهُ عن ذلك، قال: إنَّ الله تعالى أَوحى إلى موسى عليه السلام أن: قلْ للظالمينِ من أُمّتك لا يذكروني، فإنَّ الظالمَ إذا ذكرني، أنا أذكُره باللَّعنِ. وأيضًا سمعتُ أنَّ من أنفقَ في طريقِ الحجِّ من الشُّبهة، ثم يقولُ: لبّيك، يُقال: لا لبيك ولا سعديك، حتى تردَّ ما في يدك.

نقل أن ابنَ الفُضيل ما كان يطيقُ سماعَ آية العذاب، سئل ذلك عن الفُضيل، وقيل: إنّ ابنك بلغ من الخوف إلى هذا الحد! قال: لكثرة الذنوب. ثم بلغ هذا الكلامُ إلى أبي سليمان، قال: لا شكَّ أنَّ كثرةَ الخوفِ من كثرة الذنوب

أقول: إنّهم عسى يعدّون التقصيرَ في العبادة من الذنوب، ولا خفاءَ في أنَّ العبد لو صرفَ(٢) غاية جهده ووسعه في عبادة الله تعالى، فهو بعدُ مُقصِّرٌ فيها، وذلك لأنَّ العبادةَ ينبغي أن تكون على وجهٍ يليق بكبرياء الله تعالى، أو في مقابلة نِعم الله تعالى على العبدِ، ولا شكَّ أن طاقةَ البشرية عاجزةٌ عند هذا المقام؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى أعزُّ وأجلُّ وأعظمُ من أن يليقَ بجناب كبريائه عبادةُ الثقلين، فكيف أنت بعبادةِ إنسان واحد! ونعمُهُ تعالى أيضًا على كلِّ من عبيده أكثرُ من أن تُحصى، وأجلُّ من أن تُستقصى حتى يمكن مقابلة شيءٍ منها بعبادةِ العبد، وهذا لأن التوفيقَ للعبادة أيضًا نعمةٌ، فلا بدّ من عبادةٍ أُخرى في مقابلة التوفيق، ويحتاج العبدُ إلى توفيقٍ آخر لهذه العبادة، وهذا التوفيق أيضًا نعمةٌ يجب على العبد مُقابلتها بعبادةٍ أُخرى، ولا بدَّ لهذه العبادةِ من توفيقٍ آخر، وهلّم جرًّا، فعلمنا أنَّ العبدَ يَعجِزُ عن مقابلةِ نعمِ التوفيق بالعبادة، فما ظنُّكَ

---

(١) في (ب): صادفت بمكة.

(٢) في (أ): العبدَ وإن صرف.

بالنِّعمِ الجِسام، الظاهرةِ والباطنة، يؤيّده ما روي: أنَّ الله تعالى أَوحى إلى موسى عليه السلام: أن اشكرْ لي. فقال موسى عليه السلام: كيف أشكُرُ لك والشُّكرُ أيضًا نعمةٌ، يجب عليَّ شكرٌ آخر ويتسلسل؟ فقال الله تعالى: يا موسى، إذا علمتَ أنَّك عاجزٌ عن إحصاءِ الشُّكر فالآن شكرتني.

قال الشاعر:

إذا كـان شُكـري نعمـةَ اللهِ نعمـةً ... علـيَّ لـه فـي مثلـه يَجـبُ الشُّكـرُ
فكيـفَ بلـوغُ الشُّكـرِ إلاَّ بفضلِـهِ ... وإن طالتِ الأيامُ واتَّصل العمر

فثبت أنَّ العبدَ عاجزٌ مقصِّرٌ، وإن بلغ إلى نهايةِ درجات العابدين، والتقصيرُ في مقام العبادةِ معدودٌ عندهم من الذنوب، وبهذا يتجلّى[(١)] غلبة الخوف على الأنبياء والأولياء والصدّيقين، وصدور التوبة في يومٍ مرارًا عن النبيِّ ﷺ[(٢)] والله أعلم.

نقل عن صالح بن عبد الكريم أنه قال: الخوف والرجاء نوران في القلب. قيل له: أيُّهما أنور؟ قال: الرجاء. ثم سمع أبو سليمان هذا الكلام، قال: سبحان الله، تعلم أنه يصدر من الخوفِ الصومُ والصلاةُ وسائرُ الأعمال الحسنة بخلافِ الرجاء، فكيف يكونُ الرجاءُ أنورَ من الخوف؟!

وقال: أنا أخافُ من نارٍ يُعاقب اللهُ بها، ومِنَ اللهِ الذي يُعاقبُ بالنار.

وقال: أصلُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة هو الخوف من الله تعالى.

وقال: إذا غلبَ الرجاء على قلبٍ أفسده، وإذا كان الخوفُ دائمًا يستقرُّ الخشوعُ في القلب، وإن لم يكن دائمًا، بل حينا وحينًا فلا يحصلُ الخشوعُ في القلب.

(١) في (ب): وبهذا يحل غلبة.

(٢) روى أحمد في المسند ٢/ ٢٨٢، والبخاري في صحيحه (٦٣٠٧) في الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ، وابن حبان في صحيحه ٣/ ٢٠٤ (٩٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

وقال: لا يفارق الخوفُ من قلبٍ إلاّ خرب.

وقال يومًا لأحمد بن أبي الحواري: كنْ خائفًا من الله لا إلى حدٍّ تصير آيسًا من رحمة الله تعالى، وكن أيضًا راجيًا من الله تعالى لا إلى حيثُ تصيرُ آمنًا من مكر الله تعالى، لئلا تكون من الخاسرين.

وقال: إذا أدخلتَ قلبك في المعاصي(١) فألقه في الخوف؛ ليرفع الخوفُ الشوقَ من الطريق. يُريد أنّك الآن أحوجُ إلى الخوفِ من الشوق.

وقال: أفضلُ الأعمال خلافُ رضا النفس.

وقال: لكلِّ شيءٍ علامةٌ، وعلامةُ الخذلان تركُ البكاء، ولكلِّ شيءٍ رينٌ، ورينُ القلب في كثرة الأكل.

وقال: من أكل إلى الشبع يظهرُ فيه ستةُ أشياء: الأول: لا يدرك حلاوة العبادة. الثاني: يختلُّ حفظُهُ. الثالث: يصير محرومًا عن الشفقة على خلق الله تعالى، لأنّه رُبّما يحسَبُ(٢) جميعَ الخلق شبعان. الرابع: تثقل عليه العبادة. الخامس: تغلبُ الشهوات عليه. السادس: أنَّ أهلَ الإيمان يتوجَّهون إلى المساجد، وهو إلى المزابل.

وقال: الجوعُ من خزانةٍ مُدّخرةٍ عند الله، لا يُعطيه إلاّ من أحبَّه الله.

وقال: إذا شبعَ الإنسان جاعتْ أعضاؤهُ إلى الشهوات. يعني: إذا شبعَ البطنُ توجَّهتِ النفسُ إلى الشهوات.

وقال: الجوعُ مفتاح الآخرة، والشِّبعُ مفتاح الدنيا.

وقال: إذا عرضَ لك حاجةٌ من أمور الآخرة أو الدنيا فلا تأكلْ شيئًا حتى تَنقضي حاجتُكَ؛ لأنَّ الأكلَ يغيّرُ العقل، وطلبُ الحاجة من العقل المُتغيّرِ مُتغيّرٌ، فعليكَ بالجوع؛ فإنه يذلّلُ النفسَ، ويرقّقُ القلب، ويُورّثُ العلم السماوي.

---

(١) في (أ): أدخلت قلبك في الشوق فألقه.

(٢) في (ب): لأنه ربما يحسُّ.

وقال: إن تركتُ لقمةً من الحلال أحبُّ إليَّ من أن أُحيي ليلةً في العبادة والصلاة؛ لأن الليل يدخلُ بغروب الشمس، وليلُ قلوبِ العُبَّادِ يدخلُ إذا امتلأتِ المعدةُ من الطعام.

لا يصبرُ من شهواتِ الدنيا إلاّ من في قلبه نورٌ يَشغله بأعمال الآخرة.

ما رجعَ من رجع عن الطريق؛ لأنّه لو كان واصلاً لما رجع.

وقال: ذهبَ الصدقُ مع ألسنةِ الصادقين، وبقي مع ألسنة الكاذبين.

وقال: لكلِّ شيءٍ نورٌ، ونورُ الصدق الخشوع.

وقال: اجعلِ الصدقَ مطيَّتَكَ، واعلم أنَّ الله تعالى غايةُ طلبك.

وقال: القناعةُ من الرضا تقوم مقامَ الورع من الزهد؛ فإنّ هذا الزهد، وذاك أول الرضا.

وقال: إنّ لله عبادًا يستحيون من المعاملة مع الله تعالى بالصبر؛ وإنما يعاملونه بالرضا؛ لأن الصبر يدل على الاختيار في الجملة دون الرضا؛ ولأنَّ الصبرَ يتعلّقُ بالصابر، والرضا بالحقِّ.

الرضا أن لا تطلبَ من الله تعالى الجنَّةَ، ولا تَعوذَ به من النار؛ بل تفوّضُ الأمر إليه.

وقال: لا أعلمُ للزهدِ نهايةً، ولا للورعِ ولا للرضا؛ ولكن أعلمُ إليها طريقًا وصلنا من الرضا إلى مرتبةٍ لو وضع اللهُ تعالى جميعَ طبقات النار ودركاتها في عيني اليمنى لما يخطر بالبال أنه لِمَ لَمْ يضعْها في اليسرى.

وقال: لا يتواضعُ من لا يعرفُ نفسَه، ولا يزهدُ من لا يعرف حقيقة الدنيا.

قال: الزهدُ عبارةٌ عن أن تترك الدنيا وكلَّ ما يشغلك[١] عن الله تعالى.

وقال: علامة الزهد أنه إذا رأيتَ من لبسَ صوفًا قيمته ثلاثة دراهم فلا تكون لك رغبةٌ في صوفٍ قيمته عشرة.

---

(١) في (ب): أن تترك ما شغلك عن الله.

وقال: الحصنُ الحصين حفظُ اللِّسان.

و: مخُّ العبادة الجوع.

وقيل أيضًا: الدعاء مخُّ العبادة[١].

و: حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة.

و: التصوّفُ ألاّ يطَّلع على أفعالك غيرُ الله تعالى.

و: التوكل في الدّنيا حجابُ الآخرة.

والتفكّرُ في الآخرة يُورث الحكمةَ والحياةَ في القلوب.

وقال: العلمُ يزدادُ من الغيرةِ والخوفِ من الله، ومن التفكّرِ[٢].

ذكر عنده معصيةُ شخصٍ، فبكى وقال: تالله، إنّي وجدتُ في الطاعةِ من الآفات ما لا يحتاج معها إلى هذه المعاصي.

وقال: عَوِّدِ العينَ بالبكاء، والقلبَ بالتفكّر.

و: ينبغي ألاّ يبكي العبدُ إلاّ على ما ضيّعَ من أيامه، وهذا الحزنُ يَكفيه إلى يومِ الموت، فويلٌ لمن يضيّعُ المستقبلَ من الأيام كالماضي.

و: مَنْ عرفَ الله تعالى يَفرغ قلبُه لذكره[٣]، ويشتغلُ بخدمته، ويبكي على خطاياه.

وقال: في الجنة أراضٍ إذا اشتغل العبد بالذكر تغرسُ له الملائكةُ فيها أشجارًا، وإذا تركَ تركوا.

و: مَنْ أحسنَ بالنهار، وجد مكافأته بالليل.

و: من امتنع بالصدقِ عن شهوةٍ، فاللهُ أكرمُ من أن يعذِّبَه، وهو بلطفه يُزيلُ الشهوةَ عن قلبه.

---

(١) انظر الحاشية (١) صفحة ٨٠١.

(٢) في (ب): والخوف من التفكر.

(٣) في (ب): يفزع قلبه لذكره.

و: من اشتغلَ بالنكاح والسفر وكتابةِ الحديث فقد توجَّه إلى الدنيا، إلاّ المرأةَ الصالحة، فإنَّها ليستْ من الدنيا، بل من الآخرة؛ فإنَّها تعينك على تقوى الله تعالى وعلى عمل الآخرة. وأمّا ما منعك من الآخرة من المالِ والأهلِ والعيال فهو شُؤمٌ، وكلُّ عملٍ ما وجدتَ[١] ثوابَه في الدنيا، فاعلمْ أنَّك تجد جزاءه في الآخرة.

أقول: يُشير إلى العملِ بالإخلاص، فإنّ العامل بالإخلاص[٢] لا حظَّ له في الدنيا من عمله أصلاً، بل إنّما عمل لله تعالى، وأمّا العامل بالرياء فله إمّا لذَّةُ النفس[٣] برؤية الناس والاطلاع على عمله، وإرادة مدح الناس، أو استجلابُ منفعةٍ، أو دفعُ مضرّة إلى غير ذلك من الأغراضِ، فإنّه علَى هذا قد استوفى ثوابَ عمله في الدنيا، ولم يبق له عند الله مقدار، فلا يجازيه عليه، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. والله أعلم.

وقال: صعودُ نَفَسٍ باردٍ عن الفقير عند فقد أُمنيَّتِهِ، والعجزُ عنها أفضلُ عند الله تعالى من طاعة غنيٍّ ألفَ سنةٍ.

و: أفضلُ السخاوةِ أن تكونَ موافقةً للحاجة.

و: آخر أقدام الزاهدين أولُ أقدامِ المتوكّلين.

لو علم الغافلون ما فاتَ عنهم ويفوت لماتوا فجأة.

و: إذا انسدّتِ العينُ الظاهرةُ للعارف فلا يرى إلاّ الله تعالى.

و: أوّلُ شيءٍ تتقرَّبُ به إلى اللهِ تعالى أن تعلمَ أنّه مُطّلعٌ على قلبك، وتعلمَ أنَّك لا تطلبُ منه الدنيا والآخرة؛ بل لا تطلبُ منه إلاّ إيّاه.

و: لو كان للمعرفةِ[٤] صورةٌ لما نظرَ إليها أحدٌ إلاّ ماتَ من غاية حسنِها

---

(١) في (أ): وكل عمل وجدت.
(٢) قوله: فإن العامل بالإخلاص ليست في (ب).
(٣) في (ب) إما حظ لذة النفس.
(٤) في (أ): و: للمعرفة صورة.

وجمالِها، ولاضمحلَّ في أشعةِ أنوارها كلُّ نورٍ، وتلاشى في جنبِ ضيائها كلُّ ضوء.

و: المعرفة أقربُ إلى السكوت دون الكلام.

و: قلبُ المؤمنِ منوّرٌ بذكرِ الله تعالى، وذكر الله تعالى غذاؤه، والأُنس راحتُهُ، وحسنُ المعاملةِ ـ أي مع الله تعالى، ومع النفس، ومع الخلق ـ تجارتُهُ، والمسجدُ حانوته، والليلُ سوقُهُ، والعبادةُ كسبه، والقرآنُ بضاعتُهُ، والدنيا مزرعته، والقيامةُ بيدره.

و: الذي لا شرَّ فيه أصلاً اثنان: الشكرُ في النعمة، والصبرُ على البلاء.

و: من لنفْسِهِ عنده مقدارٌ وقيمةٌ لا يجد حلاوةً أصلاً.

و: لو اجتمعَ الناسُ وأجمعوا على تحقيري لما قدروا على مثل ما أحقرتها أنا.

و: لكلِّ شيءٍ صداقٌ، وصداقُ الجنّةِ تركُ الدنيا.

و: كلُّ قلبٍ تمكَّنَ فيه حبُّ الدنيا انشرد عنه حبُّ الآخرة.

و: الحكيمُ إذا تركَ الدنيا تنوَّرَ قلبُه بنورِ الحكمة.

و: الدنيا أَحقرُ عند الله تعالى من جناحِ بعوضةٍ، فما قيمتُها حتى يزهدَ أحدٌ فيها؟

و: من توسّلَ إلى الله تعالى بإتلافِ النفس ـ يعني في طاعاته وعباداته ـ فإنَّ الله تعالى يحفظُ عليه نفسَهُ، ويجعلُه من أهل الجنة.

يقول الله تعالى: عبدي إن استحييتَ منّي أسترُ عيوبَكَ عن الناس، وأَمحو زلاّتكَ عن اللوح المحفوظ، لئلا يَطَّلعَ عليها الملائكة، ولا أَستقصي معك يوم القيامة في الحساب.

و: إن عاتبتَ على بعض إخوانك في جنايةٍ فلا تشدّدْ، أو اتركِ العتابَ رأسًا، إذ يمكن أن تفسدَ بالمعاتبة أكثرَ من تلك الجناية.

قال: المريد جربناه كان كذلك.

قال أحمد [بن أبي] الحواري: لبس الشيخُ يومًا ثوبًا أو قميصًا أبيض، فقال: ليت قلبي بين القلوب كقميصي بين القمصان.

قال الجنيد رحمه الله: كان احتياطُ أبي سليمان إلى غايةٍ أنه يقول: إن بلغني شيءٌ من كلامِ القوم لا أقبلُه إلاّ بشاهدي عدلٍ من الكتاب والسنة.

نقل أنه كان يقول في بعض مناجاته: كيف يليقُ بخدمتِكَ من لا يليقُ بخدمة خدّامك؟! وكيف يرجو رحمتك من لا يستحيي أن لا ينجو من عذابك؟!

أقول: إنه لا يستحيي من ارتكاب المعاصي، فلا جرمَ لا يستحيي من استحقاقِ العذاب، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دخلتُ على رسول الله ﷺ، وجدته يبكي، قلت: وما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «أَتاني جبريل عليه السلام، وقال: قال الله تعالى: من شابَ شيبةً في الإسلام، فأنا أستحيي أن أعذِّبَهُ»(١) والذي شاب شيبةً في الإسلام فكيف لا يَستحيي أن يعملَ عملاً يستحقّ به العذاب؟! والله أعلم.

نقل أنّه لمّا حانَ أجلُهُ، وقربت وفاتُهُ، قال له أصحابُهُ: أبشرْ، فإنّك رائحٌ إلى رحمة الله تعالى، وإنه هو رؤوفٌ رحيم. قال: لِمَ لا تقولون إنك ذاهب

(١) لم أجده بلفظه، وروى الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٦/ ٢٩٧ (آخر ترجمة يحيى بن أكثم) قال سلم الخواص الشيخُ الصالح: رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام، فقلت له: ما فعلَ الله بك؟ فقال: أوقفني بين يَديه، وقال لي: يا شَيخ السُّوء، لولا شَيْبتك لأحرقتُك بالنار. فأخذني ما يأخذ العَبْد بين يَدَي مولاه، فلما أفقتُ قال لي: يا شَيخ السُّوء، فذكَر الثالثة مثل الأولتين، فلمّا أفقتُ قلت: يا رب ما هكذا حُدِّثتُ عنك. فقال الله تعالى: وما حُدِّثتَ عني؟ وهو أعلم بذلك. قلت: حدثني عبد الرزاق بن هَمّام، قال: حدثنا مَعْمر بن راشد، عن ابن شِهاب الزُّهري، عن أنس بن مالك، عن نبيِّك ﷺ، عن جبريل، عنك يا عظيم، أنك قلت: ما شابَ لي عبدٌ في الإسلام شَيْبةً إلاّ استحييتُ منه أن أعذِّبه بالنار. فقال الله: صَدَق عبد الرزاق، وصَدَق مَعْمر، وصَدَق الزُّهري، وصَدَق أنس، وصَدَق نبيي، وصدقَ جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنّة.

إلى الله الذي يحاسب على صغيرةٍ، ويعذِّبُ بكبيرة. وسلّم[١] روحَهُ إلى الله تعالى.

رآه بعضُ الصالحين في المنام، فقال له: ما فعلَ الله تعالى بك؟ قال: رحمني، ولكن قد أضرّني أن كنتُ مشارًا إليه في الدنيا.

اللهم: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

أقول: قال أحمد بن أبي[٢] الحواري: دخلتُ على أبي سُليمان الداراني يومًا، وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: يا أحمد، ولم لا أبكي، إذا جنَّ الليلُ، ونامتِ العيون، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، افترشَ أَهلُ المحبَّة أقدامَهم، وجرت دموعُهم على خدودهم، وتقاطرتْ على محاريبهم، أشرف الجليلُ سبحانه، فنادى: يا جبريل، بعيني من تلذَّذَ بكلامي، واستراح إلى ذكري، وإنّي مُطّلع عليهم في خلواتهم، أَسمعُ أنينهم، وأرى بكاءهم فلم لا تنادي فيهم يا جبريل: ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيبًا يعذّبُ أحبَّاءَهُ؟ أم كيف يجملُ في أن آخذ قومًا إذا جنَّهم اللَّيلُ تملّقوا فيَّ؟ حلفتُ إذا وردوا عليَّ يومَ القيامة لأكشفنَّ لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إليَّ، وأنظرَ إليهم. والله أعلم.

ربنا أَرنا عيوبَ أنفسنا، وتُبْ علينا إنّك أنت التّواب الرحيم

* * *

(١) في (ب): رائح إلى حضرة الله الذي يحاسبه على صغيرة بوزن كبيرة، وسلّم.

(٢) في الأصلين: أحمد بن أبي بكر الحواري.